

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى : { فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات } أي آمنت قلوبهم و عملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع { فيدخلهم ربهم في رحمته } وهي الجنة كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء { ذلك الفوز المبين } أي البين الواضح ثم قال تعالى : { وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ؟ } أي يقال لهم ذلك تقرعاً وتوبيخاً أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن سماعها وكنتم قوما مجرمين في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ { وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها } أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك { قلتم ما ندري ما الساعة } أي لا نعرفها { إن نظن إلا ظناً } أي إن نتوهم وقوعها إلا توهمنا أي مرجوحاً ولهذا قال : { وما نحن بمستيقنين } أي بمتحققين قال الله تعالى : { وبدا لهم سيئات ما عملوا } أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة { وحق بهم } أي أحاط بهم { ما كانوا به يستهزئون } أي من العذاب والنكال { وقيل اليوم ننساكم } أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم { كما نسيتم لقاء يومكم هذا } أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به { وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين } وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة : [ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يارب فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيته] .

قال الله تعالى : { ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً } أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخرية تسخرون وتستهزئون بها { وغرتم الحياة الدنيا } أي خدعتم فاطماً أنتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ولهذا قال D : { فاليوم لا يخرجون منها } أي من النار { ولا هم يستعتبون } أي لا يطلب منهم العتبي بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال : { فالحمد رب السموات ورب الأرض } أي المالك لهما وما فيهما ولهذا قال { رب العالمين } ثم قال جل وعلا : { وله الكبرياء في السموات والأرض } قال مجاهد : يعني السلطان أي هو العظيم الممجّد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه وقد ورد في الحديث الصحيح [يقول الله تعالى : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما أسكنته ناري] ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد Bهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله تعالى : { وهو العزيز } أي

الذي لا يغالب ولا يمانع { الحكيم } في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو